جمهورية مصر العربية	٩ ربيع الأول ١٤٤٣هـ
وزارة الأوقاف	١٥ أكتوبر ٢٠٢١م

(١)

النبي القدوة (صلى الله عليه وسلم) في بيته وحياته

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الله (عز وجل) اصطفى نبيه (صلى الله عليه وسلم) على الخلق جميعًا، فشرح صدره، وأعلى شأنه، ورفع ذكره، ومنَّ عليه بكل صفات الكمال البشري، فكان (صلى الله عليه وسلم) أكملَ الناس خُلقًا، وأطيبهم نفسًا، وأطهرَهم قلبًا، وأسماهم فكرًا، وأحسنَهم معاملة، حيث يقول الحق سبحانه: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

والمتأمل في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه كان بحق نِعم القدوة للإنسانية جمعاء، حيث يقول (عز وجل): {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، فتراه (صلى الله عليه وسلم) نعمَ الزوج، ونعمَ الأب، ونعمَ الجد، لا سيما أنه القائل (صلى الله عليه وسلم): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).

وما أجمل أن نقف على شيء من أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) في بيته، وحسن عشرته لأهله، فها هي زوجه السيدة خديجة (رضي الله عنها) تصفه (صلى الله عليه وسلم) فتقول: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"، وها هو (صلى الله عليه وسلم) يحفظ لها عهدها بعد وفاتها؛ ومن ذلك أن عجوزًا كانت تزوره (صلى الله عليه وسلم) فيقوم لها ويكرم وفادتها، فلما سألته السيدة عائشة عن سر إكرامه لها، قال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّهَا

كَانَتْ تَأْتِينَا عَلَى عَهْدِ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ)، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول عن أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها): (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزّ وَجَلّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النّاسُ، وَصَدّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا).

كما كان (صلى الله عليه وسلم) يعين أهله ويساعدهم في حاجتهم، حيث تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): كان (صلى الله عليه وسلم): يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم، وسُئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها): ما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة، بل كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) حريصًا على إدخال السرور على أهل بيته بتخصيص وقت لهم، ومن ذلك أنه (صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) كانَ إِذَا دخل اللَّيْلُ يسير مع السيدة عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أحيانًا يَتَحَدَّثُ معهَا.

وكان لبناته (صلى الله عليه وسلم) نصيب عظيم من إحسانه وإكرامه، فقد كانت ابنته السيدة فاطمة (رضي الله عنها)، إذا دخلت عليه (صلى الله عليه وسلم) قام إليها، فأخذ بيدها، فقبَّلها، وأجلسها مجلسه، وكان (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده، وقبَّلته، وأجلسته في مجلسها، وتقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): "كُنَّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده، فأقبلت فاطمة (رضي الله عنها) تمشي ما تُخطئ مِشيتها من مشيةِ رسول الله شيئًا، فلما رآها رحَّب بها، وقال (مَرْحَبًا يَا ابْنَتِي)، ثم أجلسها بجواره (صلى الله عليه وسلم)".

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) نعم الجد لأحفاده، يكرمهم، ويلاطفهم، ويحنو عليهم، ومن ذلك أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يخطُبُ فرأَى السَّيدَيْن الحسَنَ والحُسينَ (رضي الله عنهما) مُقبلَينِ عليه، يلبسان قَميصينِ أحمرينِ، يعثُرانِ-يقعان- ويقومانِ، فنزلَ (صلى الله عليه وسلم) إليهما، فاحتضَنَهما، وأخَذَهما معَه إلى المِنبرِ، ورأى نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) سيدَنا الحسين (رضي الله عنه) يلعب مع غلمان في الطريق، فبسط (صلى الله عليه وسلم) يديه، فجعل الحسين (رضي الله عنه) يفِرُّ ها هُنا وَها هُنا، ويضاحِكُه النبي (صلى الله عليه وسلم) حتَّى أخذه، فقبَّلَه، وقال: (حُسَيْن منِّي، وأَنا من حُسَيْن، أحبَّ اللَّه من أحبَّ حُسَيْنًا).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يُصلّي بالناس ذات يوم، فجاءته حفيدته السيدة أُمامة (رضي الله عنها)؛ فكان يحملها بين يديه إذا كان واقفًا، ويضعها على الأرض إذا سجد، كما كان (صلى الله عليه وسلم) يلاعب زينب بنت زوجته السيدة أم سلمة (رضي الله عنها)، وهو يقول: يَا زَيْنَبُ، يَا زُوَيْنِبُ، مِرَارًا)،

فما أحوجنا إلى التأسي بنبينا (صلى الله عليه وسلم) والاقتداء به في جميع شئون حياته، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أرحم الخلق بالخلق، وأكرمهم، وأصدقهم، وأعدلهم، وأشجعهم، وذلك التأسي والاقتداء من دلائل محبته (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبيك (صلى الله عليه وسلم)